

## أم الصحافيين المصريين تتنبأ بتعافي الصحافة العربية

أمينة شفيق

وحرب الـ60 سنة من أجل المرأة والفقراء



● حرية الرأي في الصحافة تمثل جزءاً رئيسياً من الحريات العامة السائدة، كما تقول الصحافية المخضمة. وهي على أي حال أفضل من عصور عديدة مضت، في ظل ثورة التكنولوجيا واتساع فرص التعبير عبر حسابات التواصل الاجتماعي.



● اتجاهات شفيق تنعكس في أعمالها. فقد أصدرت على مدى رحلتها كتاباً عديدة ركزت على قضايا المرأة، أبرزها كتاب "المرأة العربية وتعليم العمال"، وكتاب "المرأة العاملة العربية والتطور الاقتصادي".

مصطفى عبيد  
كاتب مصري

تكتب النساء بإلحاح ذاتي بمتزج بروح الأنثى، يدفعهن نحو فعل البوح، الجهر، وتسجيل المواقف، وليس الثرثرة كما يردد المنتصرون ضد المرأة. ولأن الكتابة أنثى، كما يقول الشاعر نزار قباني، فإن تجارب النساء في الكتابة في عالمنا العربي بدت أكثر جراءة، وأوسع اشتباكاً، وأشد حرساً على الحرية منها لدى الرجال. ولاشك أن تجربة الكتابة المخضمة المصرية أمينة شفيق، على مدى أكثر من ستة عقود تؤكد ذلك. لذا، كانت محل احتفاء واحتفال جمهور من الصحافيين مؤخرًا على صفحات التواصل الاجتماعي بعد بلوغها سن الخامسة والثمانين، ومازالت تكتب وتعمل وتعلق وتجتهد وتقتصر وتؤدي باراتها.

حازت صاحبة الرحلة الزرية الشاهدة على تطورات وتحولات مهنة الصحافة والإعلام والعمل النقابي المرتبط بهما على لقب جيد لها هو "أم الصحافيين" على غرار مصطلح "أم المصريين" الذي حازته من قبل صفيحة زغول حرم الزعيم الوطني سعد زغول.



**شفيق ومع أنها ذات توجه يساري، إلا أنها ترفض تسييس نقابة الصحافيين، موضحة أنها ورغم كونها من مؤسسي حزب التجمع الاشتراكي في مصر، إلا أنها لم تسع إلى ممارسة عمل سياسي يعبر عن الحزب داخل النقابة**

والأمومة هنا محبة وحنان وتواجد واهتمام بكافة قضايا المهنة، وليست أمومة سنن كما يتصور البعض، فأمينة شفيق كانت ومازالت رمزاً للاستقلالية في السراي، ونموذجاً يُحتذى في الدفاع عن الحريات، وراية تحذ في وجه القهر السلطوي، ومنبر دعوة للتأكيد على أهمية المرأة في المشاركة المجتمعية، والمقاسمة للرجل في فرص العمل والمناصب القيادية.

## نظرة تافؤل

هي قبل كل ذلك مثال عظيم للعمل النقابي الجاد، غير المسيس، المنعصر لجموع الصحافيين، بغض النظر عن انتماءاتهم وتوجهاتهم الأيديولوجية. فعلى مدى ثمانية وعشرين عاماً بدأ من عام 1971 ظلت الكاتبة تفوز باكتساح بعضوية مجلس نقابة الصحافيين

المصريين، لتكون أول امرأة عضواً بمجلس النقابة، وأكثر الأعضاء استمراراً في المجلس. وهي بمثابة المرشد والمعلم والمرجع لكثير من الصحافيين من جيلي والوسط والشباب، لثقافتها المتنوعة، وخبرتها المعرفية الناتجة عن معاشرة ومواكبة ضربات قاصمة تعرضت لها الصحافة المصرية في تاريخها.

وفي ظل حالة تردّي واضحة تهيم على مهنة المتاعب في العالم بشكل عام، وفي العالم العربي ومصر بشكل أكثر خصوصية، تبقى أمينة شفيق طاقة لبث الأمل للأجيال الجديدة تحضهم على المثابرة والتجديد والتطور وعدم الاستسلام لفكرة انقراض الصحافة، أو موت الصحف.

ويعد تعافياها من أزمة صحية طارئة أدت لغيابها قليلاً عن مجتمع الصحافة والكتابة لقراءها، أكدت أنها ما زالت تتابع قضايا حرية الصحافة والرأي، وتعتبر الصحافة ضرورة بناء وتنمية وتحديث أي مجتمع عربي.

تقول شفيق لـ"العرب" إن أزمة الصحف في العالم العربي ومصر ليست وليدة اليوم ولا تمكن قراءتها بعين الاستسهال ووصم الصحافة بالتردي والسطحية، فهناك نماذج عديدة جيدة و متميزة، وهناك مقالات وموضوعات عديدة تستحق القراءة، غير أن انحاد الأوضاع الاقتصادية بالزمان مع الارتفاع الكبير في تكلفة الطباعة وأسعار الورق والأخبار أدى إلى انصراف واضح عن شراء الصحف الورقية، لكن ما زالت هناك شرائح كبيرة من المجتمع تتابع الصحف عبر مواقعها الإلكترونية.

توقعت أن تجد الصحافة العربية مخرجا للأزمة الآتية، خاصة أن هناك ضرورة ملحة لتصحيح مسيرة المجتمعات وإرساء مبادئ حرية الفكر، وهو ما لن يتم إلا عبر الصحافة. وأوضحت أن حرية الرأي في الصحافة تمثل جزءاً رئيسياً من الحريات العامة السائدة، وهي على أي حال أفضل من عصور عديدة مضت، في ظل ثورة التكنولوجيا واتساع فرص التعبير عبر حسابات التواصل الاجتماعي، لكن مع ضرورة مراعاة عدم التحريض ضد أحد أو التجاوز الأخلاقي.

بدت الكاتبة ذات التوجه اليساري راضية تسييس النقابة وموضحة أنها رغم كونها أحد مؤسسي حزب التجمع الاشتراكي اليساري في مصر سنة 1976 إلا أنها لم تسع إلى ممارسة عمل سياسي يعبر عن الحزب داخل النقابة. وتؤكد شفيق أن مجلس نقابة الصحافيين عندما رفض اتفاقية كامب ديفيد في عهد الرئيس الأسبق أنور السادات لم يكن يمارس عملاً سياسياً، وإن تصور البعض ذلك، إنما كان ينطلق من حس نقابي يعبر عن مواقف معظم الصحافيين برفض التطلع إلى إسرائيل إلا بعد حل القضية الفلسطينية. وتتابع

قائلة إن نقابة الصحافيين نقابة مهنية من الدرجة الأولى، ولاشك أن تسييسها يؤدي إلى تراجع خدماتها المقدمة للمهنة.

## تحقيقات حول الإسلاميين

يروي الكثير من الصحافيين عن الدور الذي لعبته شفيق خلال عضويتها بمجلس النقابة في دعمهم، من مختلف الصحف والتوجهات. ويذكر كرم جبر رئيس المجلس الأعلى للإعلام في مقال نشره بصحيفة أخبار اليوم في الـ29 من فبراير الماضي أن النائب العام أماله إلى القضاء في منتصف التسعينات على خلفية سلسلة مقالات بشأن شركات توظيف الأموال الإسلامية، حيث اتهم في بعضها أحد رجال النيابة بالسكوت على فساد شركة الريان، وقت التحفظ على أمواله، وذهبت شفيق باعتبارها كعضو بمجلس نقابة الصحافيين لحضور التحقيق، وقالت للمحققين "إننا كنا سنحول كرم جبر للتحقيق إن لم يكتب ما كتبه عن فساد الريان لأنه عرف معلومات مهمة وأخفاها عن الرأي العام". ويوضح جبر أن تاريخ الكاتبة المصرية يشرف الصحافة، فقد كانت دوماً تقف إلى جانب حرية الرأي والتعبير، ورغم كونها عضواً مؤسساً في حزب التجمع المعارض أجادت دبلوماسية المعارضة الشرسة ونالت احترام الجميع.

## الصحافية المغامرة

تنتمي شفيق إلى أسرة قاهرة متوسطة، ولدت سنة 1935 بحي مصر الجديدة بالقاهرة، وكان والدها موظفاً بمصلحة التليفونات، بينما كانت والدتها ربة منزل، وكانت لها ثلاث شقيقات. أدى

انفصال والديها وهي طفلة إلى الانتقال إلى بيت جدتها لأمها التي زرعت فيها ضرورة استقلال المرأة والحرص على استكمال التعليم حتى مراحل النهائية. كانت الجدة قد تزوجت وهي صغيرة جداً، وقامت بتوزيع بناتها صغاراً فاخترت كيف يؤثر الزواج المبكر سلباً على البنات، وأوصت حفيداتها بعدم الزواج إلا بعد استكمال تعليمهن. أما سنوات الخمسينات في مصر فكانت نقطة فاصلة في تعليم الفتيات خاصة بين عائلات في الطبقات الوسطى والدنيا، لأن مجانية التعليم كانت قاصرة على مرحلة التعليم الابتدائي حتى مجيء طه حسين وزيراً للتعليم في حكومة الوفد سنة 1950 وإقراره مد مجانية التعليم حتى نهاية المرحلة الثانوية، لتتمتع أمينة شفيق بفرصة إتمام تعليمها المدرسي مجاناً.

الغريب كما تقول إنه كان هناك تمييز تجاه الإناث يتمثل في زيادة سنوات الدراسة الثانوية لهن بسنة عن الذكور تحت تصور ضعف عقلية الأنثى، وهو ما قام طه حسين بإلغائه تماماً.

ارتبطت الكاتبة روحياً بالكاتبة سهير القلمساري التي كانت تقرأ لها بانتظام في ذلك الوقت، وتخبر أقاربها أنها تروي السير على دربها وتمتحن الكتابة.

ولما لم تكن هناك كلية للصحافة في الجامعات المصرية في ذلك الوقت، التحقت بالجامعة الأميركية لدراسة الصحافة، وانضمت للتدريب في أخبار اليوم وهي مازالت طالبة. خلال

العدوان الثلاثي على مصر عرضت شفيق على موسى صبري رئيس تحرير مجلة "الجيل" وقتها، التسلل في زي الصيادين إلى مدينة بورسعيد لفصح جرائم الاحتلال والكتابة عن فظائعه، ووافق على مهمتها، ما جعلها تلمع سريعاً كأول صحافية تتابع حكايات الحرب وتوابعها. ثم تنقلت بين عدة صحف، قبل أن تلحق سنة 1960 بجريدة الأهرام، وهناك تعلمت واختبرت الحرس الشديد على الدقة والمهنية.

وتقول عن ذلك إن "الأهرام تمثل بالنسبة إليها بيتاً كبيراً، ففيه تعرفت على كبار الكتاب وتعلمت من أساتذة الصحافة العظام، مثل محمد حسنين هيكل الذي كان مهتماً جداً بتدقيق المعلومات، ويحاسب كل صحافي على كل معلومة ينشرها".

## القضايا الكبرى

انشغلت شفيق بقضايا الحريات والسياسة الخارجية، بجانب هموم المرأة المصرية والعربية، لكن ذلك لم يمنعها من الزواج والاقتران بفنان تشكيلي يعمل في الصحافة أنجبت منه ولداً وبناتاً. ويبدو أن إيمانها بحق المرأة في التعليم والعمل والمشاركة المجتمعية كان دافعاً لها للترشح في انتخابات مجلس النقابة، فكانت أول امرأة تفوز بعضويته، كما كان دافعاً لها أن تختار المشاركة في تأسيس حزب التجمع الاشتراكي عندما قرر الرئيس أنور السادات السماح بإنشاء أحزاب سياسية، في الوقت الذي انضم فيه غالبية الباحثين عن دور سياسي إلى حزب الرئيس، المسمى وقتها بـ "حزب مصر". في تلك السنوات الصحافية بتحولاتها وحراكها انخرطت أمينة شفيق بشكل أكبر في قضايا الوطن، ولاستمر قضايا حيوية مثل السلام مع إسرائيل وصارت تمثل وجهة نظر مثيرة للقلق لدى السلطة، ما دفع الرئيس السادات إلى إصدار قرار بإنهاء عملها ككاتبة في الأهرام، على خلفية رفض نقابة الصحافيين لاتفاقية كامب ديفيد، ونقلها للعمل في وزارة الشؤون الاجتماعية.

غير أن الإصرار الذي صاحبها منذ سنوات نشأتها الأولى دفعها للجوء إلى القانون مرة وانتدبت وفلانا، وممارسة المعارضة الضاغطة بالوسائل السلمية دون تطاول أو تجاوز.

عادت إلى عملها بعد اغتيال السادات سنة 1981. وظلت من يومها حريصة على أداء دورها كمسؤولة نقابية عن حرية التعبير لتساهم في إسقاط قانون مشوه صدر سنة 1996 نص على معاقبة الصحافيين بالحبس في قضايا النشر. كان إيمان شفيق بتواصل الأجيال وضرورة تجديد الدماء وراء قرارها باعتزال العمل النقابي نهائياً سنة 1999 بعد أن بلغت 64 عاماً، لتؤكد ضرورة فتح المجال



**أزمة الصحف في العالم العربي ومصر، ترى شفيق أنها ليست وليدة اليوم ولا تمكن قراءتها بعين الاستسهال ووصم الصحافة بالتردي والسطحية، فهناك نماذج عديدة جيدة ومتميزة**

أمام الأجيال الجديدة للمشاركة في العمل العام. فوجئت عام 2000 باختيارها كعضو بأول مجلس قومي متخصص للمرأة في مصر لتجوب القرى والمدن والمحافظات مستعرضة ومتابعة ومعاينة لأحوال النساء وساعية إلى التعرف على مشكلاتهن وهمومهن لتكتشف في ذلك الوقت أن قضايا المرأة تستحق كفاها ونضالاً لا يقل عن الصحافة وهموم السياسة. وهي تقول "إجسائي بمعاناة المرأة لم أستشعر به حقاً إلا بعد أن كبرت ونضجت وسافرت جميع محافظات مصر تقريباً، وطبيعي أن جاءتني الفرصة يوماً لزيارة القرى الريفية، حيث ساعدني ذلك في التعرف عن قرب على وضع المرأة هناك، مقارنة بمخيلاتنا في المدن، وأيقنت تماماً وبما لا يحتمل أي شك أن المرأة المصرية لازالت في حاجة إلى بذل المزيد من الجهد حتى يتم تمكينها على كافة المستويات اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً".

في عام 2018 كرم الرئيس عبدالفتاح السيسي عدداً من الأمهات المثليات، ضمن فعاليات تكريم المرأة، والذي تزامن أيضاً مع عيد الأم، وتم تكريم أمينة شفيق كام مثالية ونموذجاً للمرأة الناجحة المثابرة. وعلى مدى رحلتها نشرت كتباً عديدة ركزت على قضايا المرأة، أبرزها كتابا "المرأة العربية وتعليم العمال" و"المرأة العاملة العربية والتطور الاقتصادي". ومن أرائها المبثوثة عبر مقالاتها وأحاديثها الصحافية أن "أي إنجاز اقتصادي لا يمكن تحقيقه إن غابت عنه قضية الديمقراطية"، وترى أن الديمقراطية من أصعب القضايا التي يمكن تحقيقها في العالم العربي، لكنها تبقى أفضل نظام يحكم السياسة في العالم.

تعتبر أمينة شفيق الرئيس جمال عبدالناصر زعيماً وطنياً وقومياً، لكنه كان بعيداً تماماً عن قضية الديمقراطية، أما الرئيس السادات فعلى الرغم من معارضة الكاتبة له واصطدامها به، إلا أنها ترى أنه وضع قواعد قانونية لكيفية التعامل مع المعارضين تستحق الاحترام، وقالت عن الرئيس حسني مبارك، إنه كان يتمتع باستقرار وارتياح شعبي في البداية، لم يستثمر بالشكل المطلوب.